المنهج والدور المذهبي لكتاب الفروع لابن مفلح

- دراسة وصفية تحليلية -

د. فهد بن عايض الغامدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المنهج والدور المذهبي لكتاب الفروع لابن مفلح

دراسة وصفية تحليلية -

د. فهد بن عايض الغامدي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مستخلص الرسالة

❖ المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين؛ أما بعد:

فإن الفقه في الدين من أعظم القرب، وأجل العبادات، به يتبصَّر المرء طريق آخرته، وصلاح دينه، واستقامة دنياه؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من يرد الله به خيرًا يُفقهه في الدين)).

وإن من المذاهب الفقهية المتَّبعة مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وقد توالت جهود العلماء والباحثين في دراسة كتب المذهب، والعناية بها جيلًا بعد جيل؛ لِما فيها من غزير العلم، وعظيم النفع، فقد أودع فقهاء الحنابلة فيها سنين أعمارهم، ومُهجَة أفئدتهم، فجمعوا بين حسن التصنيف، ودقيق الفقه، وخدمة المذهب.

وإن من هذه الكتب الجليلة: كتاب الفروع لشمس الدين محمد بن مفلح محمد المقدسي الصالحي الرَّامِيني، المتوفى سنة ٧٦٣هـ، ويُلقَّب المصنف رحمه الله بشمس الدين، ويُعرَف بابن مفلح، وصاحب الفروع، ويُكنَّى بأبي عبد الله، ووصف في بعض نسخ كتبه بأبي المفاخر، وهو جدُّ أسرة آل مفلح الحنبلية المعروفة بالشام، وقد تفرَّعت بطونًا وبرز فيها كثيرٌ من العلماء والقضاة والخطباء **وكتاب الفروع هو غرة كتبه وأكثرها نفعًا وشهرة** قال المرداوي رحمه الله: "فإن كتاب الفروع – تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة، أبي عبد الله، محمد بن مفلح، أجزل الله له الثواب، وضاعف له الأجر يوم الحساب – **من أعظم ما صُنِّف في فقه الإمام الرباني أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني نفعًا وأكثرها جمعًا، وأتمُّها تحريرًا، وأحسنها تحبيرًا،**

وأكملها تحقيقًا، وأقربها إلى الصواب طريقًا، وأعدلها تصحيحًا، وأقومها ترجيحًا، وأغزرها علمًا، وأوسطها حجمًا، قد اجتهد في تحريره وتصحيحه وشَّمر عن ساعد جِدِّه في تهذيبه وتنقيحه، فحرَّر نُقولَه، وهذَّب أصولَه، وصحَّح فيه المذهب، ومَرجِعُ الأصحاب في هذه الأيام إليه، وتعويلهم في التصحيح والتحرير عليه؛ لأنَّه اطلع على كتبٍ كثيرة، ومسائلَ غزيرة، مع تحرير، وتحقيق، وإمعان نظر، وتدقيق، فجزاه الله أحسن الجزاء وأثابه جزيل النعماء.

❖ **مشكلة البحث:**

في أن كتاب الفروع لابن مفلح رحمه الله يحظى بملاءةٍ علميةٍ ظاهرة، وثراءٍ منهجي، ومكانة كبيرة في المذهب الحنبلي، وهذا يدعونا للتساؤل:

-عن أهم المعالم المنهجية للمصنف - رحمه الله - في تأليف كتاب الفروع ومعالجة مسائل علم الفقه؟

- وعن أبرز معالم دور كتاب الفروع في خدمة المذهب الحنبلي؟

-وعن مكامن القوة البحثية وأخلاقيات البحث وأدبياته في كتاب الفروع، والجديرة بالتطبيق والعناية في واقع البحث الفقهي المعاصر.

❖ **أهمية البحث:**

- أن العناية بدراسة مناهج الفقهاء في التصنيف لها أثرٌ ظاهر في صقل الملكة الفقهية وتنميتها.

– ما يتميز به كتاب الفروع من المكانة العلمية الرفيعة عند الفقهاء، والسمات الخاصة في تأليفه، مما يجعله جديرًا بالعناية به في رسالة علمية مستقلة

– المكانة العلمية والمذهبية الرفيعة لابنِ مفلح رحمه الله، وارتباط اسمه بكتاب الفروع حتى صار كلٌّ منهما علمًا يُعرف به الآخر.

❖ **أهداف البحث فيما يأتي:**

أولًا: في إبراز المعالم المنهجية الفقهية في تأليف كتاب الفروع، بما يُفسِّر مكانة الكتاب ومؤلِّفه الظاهرة عند أعلام الفقهاء، ويَلْفِت انتباه الباحثين المعاصرين إلى مكامن القوة وفرص البحث الجديرة بالاستفادة والدراسة في الكتاب.

ثانيًا: بيان دور كتاب الفروع في خدمة المذهب الحنبلي، وتجلية علاقة الكتاب ومؤلِّفه بطبقات فقهاء المذهب ومراحل التصنيف فيه، وصولًا إلى تحرير أبرز إضافاته العلمية للمذهب وآثاره على من بعده.

ثالثًا: إبراز معالم القوَّة البحثية والفقهية في كتاب الفروع؛ لتكون أُنموذجًا يُحتَذى في البحث والتصنيف الفقهي.

❖ **ضابط البحث وحدوده:**

البحث يعتني بدراسة منهج ابن مفلح في تأليف كتاب الفروع، ودور الكتاب في خدمة المذهب الحنبلي، وذلك بإبراز أهم المسالك العلمية المتَّبَعة في تأليف الكتاب مع الإشارة لمستوى حضورها في الكتاب قلةً أو كثرة؛ لأن من المسالك العلمية ما يكون نافعًا حريًّا بالإبراز، فيستحق الذكر كواقعٍ موجودٍ في الكتاب ولو لم يكن مطردًا

كثيرًا، لما في إغفاله من تفويت نفع القرَّاء والباحثين، والانتقائية في تحليل الكتاب، ولا يدخل في البحث ما يتعلق بالدراسة الفقهية المقارنة أو المذهبية لآحاد المسائل، ولا يدخل في البحث ما يتعلق بالجوانب الأصولية أو الحديثية من منظورٍ أصولي أو حديثي، بل الإشارة إليها من منظورٍ فقهي من جهة ارتباطها بالفروع الفقهية، وإعمالها في النظر الفقهي.

❖ **الملخص:**

يتناول البحث تحليل كتاب الفروع من جهة المنهج الفقهي والدور المذهبي؛ حيث يَحظى كتاب الفروع بمكانةٍ عاليةٍ عند أعلام الفقهاء، تُحتِّم استقراء وتحليل منهج المصنف في تأليفه، وصولًا إلى تَجْلِية المعالم المنهجية، والأدوار المذهبية للكتاب في خدمة المذهب الحنبلي؛ حيث شَمِل البحث: دراسة منهج المصنف في الصياغة الفقهية، والاستدلال، والخلاف الفقهي، وأخلاقيات البحث وأدبياته، والخدمة المذهبية، وقد أثبت البحث ما امتاز به المصنِّف في كتاب الفروع من الجمع بين قوَّة النظر الفقهي، وبين المُكْنَة الأصولية المؤثرة في معالجة المسائل، وإحكام الصياغة الفقهية المحرَّرة والمُعْتَنِيَة بالتصدِّي لمواطن الإشكال، كما أثبت البحث جَمْع المصنف في كتاب الفروع بين قوة الضَّبط والتَّقعيد، وبين غزارة الفروع الفقهية التي بَرَع المصنف في توليدها وتفريعها، وإعمال الأَقْيِسَة والتَّعليلات والقواعد في معالجتها وتقريرِ حكمها، كما ظهر جليًّا جَمْع المصنف في منهج الاستدلال بين العناية بالاستدلالات النَّقلية والعقلية من جهة الثبوت والدلالة، ودفْع ما ظاهِرُهُ التعارض، وأظْهَرَ البحث ما امتاز به كتاب

الفروع من الجمع بين عُمْق الدِّراية بالخلاف النَّازل عند الحنابلة، والموسوعيَّة في الإلمام بالخلاف العالي، مع ظهور الشَّخصية العلمية البارزة للمصنِّف في التَّوجيه والاختيار والتَّعقُّب ومناقشة المخالفين، والتَّصحيح المذهبي، ويُظهِر البحثُ حضور أخلاقيات التصنيف الفقهي وأدبيَّاته عند المصنِّف بشكلٍ ظاهر، حيث يَعْتني بإبراز مصادره العلمية الكثيرة والمتكرِّرة، ويُظِهر تواضعًا علميًّا جمًّا، مُمتزجًا بقوةٍ الشخصية العلمية، مع حرصٍ ظاهرٍ على إرشاد المكلَّفين والنُّصح لهم، ويُظهِر البحث موقعَ كتاب الفروع ومؤلِّفه بين طبقات فقهاء المذهب، ومراحل تصنيفه، وعلاقة مؤلف الكتاب الوثيقةِ بفقه أعلام الحنابلة، واتِّساع اطلاعه على كتبهم، وإفادته الكثيرة والمحرَّرة منها، وهو ما أثمرَ مَلَاءة الكتاب، وقيمته المذهبيَّة الظاهرة في تحرير الفقه الحنبلي، وبيان معتَمد مذهب الحنابلة، وإبرازِ فقهِ أئمتِهم ومجتهدِيهم، حتى صار كتاب الفروع مرجعًا رئيسًا، مُستوعبًا لأهمِّ ما كُتِب في المذهب قبْلَه، ومُحَرِّرًا ومُصَحِّحًا لمسالك الفقه الحنبلي ومسائله، كما صرَّح أعلام الحنابلة في كتب المذهب المُعتمدة بالتَّعويل عليه، وغزارة النقل عنه في دقيق مسائل المذهب وجَلِيلها.

❖ **النتائج العامة:**

يظهر من النظرة الشاملة لكتاب الفروع، وما توصل إليه الباحث من المعالم المنهجية البارزة في تأليفه وتحريره ما يلي:

- أن كتاب الفروع -رغم صعوبة ألفاظه- حَظِي بمكانةٍ عالية عند الفقهاء؛ لقيمته العلمية، وعمق تصنيفه وملاءته الفقهية.

- جَمَع المصنف رحمه الله في تصنيف كتاب الفروع بين الـــمُكْنَة في النَّظـــر الفقهي والـــمُكنة في استعمال الأدوات الأصولية؛ مما جعل الكتاب مرجعًا نفيسًا قـــلَّ نظيره في قوَّة التحرير الفقهي، ونفاسَة التطبيقات الأصولية.

- جمع المصنف رحمه الله بين العناية بالاستدلالات النَّقلية من جهة ثبوتها وتحريـــر دلالتها، ودفع التعارض بينها، وبين قوَّة الاستدلالات العقلية مـــن جهـــة الاســـتنباط والقياس والتعليل والتقعيد.

- أن غزارة الفروع الفقهية - البارزة في كتاب الفروع - قارَنَها تميزٌ ظاهرٌ من جهة منهج المصنف في توليد المسائل الفقهية والتفريع عليها، ومن جهة إعمال مسلَكَي القياس والتعليل في معالجتها وتقرير حكمها.

- عناية المصنف في كتاب الفروع بالتَّصدِّي لمواطن الإشكال بالتَّحرير والمعالجة، والاستدلال في سائر مكونات التصنيف الفقهي ووَحداته الموضوعية، وهو ما يُفسِّـــر مكانته الكبيرة عند الفقهاء وحرصهم على الإفادة منه.

- جمع المصنف رحمه الله في كتاب الفروع بين العمق المذهبي في الدِّراية بمـــذهب الحنابلة، واليد الطُّولى في الإلمام بالخلاف العالي.

- أن كتاب الفروع يُعدُّ مثالًا يُحتذى في أخلاقيات البحث والتصنيف الفقهـــي وأدبياته؛ حيث يزخر بالكثير من الملامح والمعالم الأخلاقية والبحثية الجـــديرة بالعنايـــة والاهتمام.

- موسوعيَّة المصادر الحنبليَّة لكتاب الفروع، وإفادته المحرَّرة من أغلب الكتب الحنبلية لأعلام فقهاء المذهب البارزين في جمع مسائل المذهب وتحريره وتنقيحه - من المتقدمين والمتوسطين والمعاصرين له - وهو ما انعَكَس على ملاءة الكتاب ومكانته العلمية، واستيعابِه لمُهمَّات ما كُتب قبله في المذهب، وجَعَله موردًا لأعلام فقهاء الحنابلة المتأخرين عنه، ومصدرًا رئيسًا لكتب المذهب المعتمدة، والمؤثِّرة بدورها في بقيَّة كتب المذهب.

- أن كتاب الفروع يُعدُّ مرجعًا مهمًّا في معرفة الأقوال والروايات في مذهب الحنابلة، وتحديد المعتمد في المذهب وتوجيهه، ومعرفة فقه كبار أئمة المذهب ومجتهديه.

❖ **التوصيات العلمية:**

أثمر البحثُ لفتَ الانتباه إلى عددٍ من التوصيات العلمية النافعة في التعليم والبحث الفقهي وتنمية الملكة الفقهية، وهي:

- العناية بنتائج الدراسات المتعلِّقة بمناهج أعلام الفقهاء، وصياغتها كمعايير بحثيَّة لإعمالها في تحسين جودة التصانيف الفقهية المعاصرة وتقييمها.

- العناية بدراسة مقدِّمات أمهات الكتب الفقهية وما تضمَّنته من مفاتيح التحصيل العلمي ومقدِّمات علم الفقه، ومداخل المذاهب الفقهية المتبوعة.

- العناية بغزارة التفريع وإيراد الفروع الفقهية المحتَملة في الأبحاث الفقهية المعاصرة بما يَشْمَل المتغيِّرات والنوازل والأحوال المتعددة في العصر الحديث، ويحقِّق مقاصد

الشارع الحكيم في سياسة أحوال الخلق بأحكام الشريعة، وتقريبها بما يصلح حالهم في كل زمان ومكان.

- العناية بدراسة طلاب العلم والباحثين في الفقه لمبادئ العلوم المساندة للفقيه في التصنيف الفقهي، وتوظيفها في الاستشهاد للأحكام الفقهية وبيان آثارها المحمودة والترغيب في العمل بها.

- العناية بدراسة تطبيقات ابن مفلح الأصولية في كتاب الفروع - في المباحث الأصولية عمومًا ومباحث القياس والتعليل والتعارض بين الأدلة خصوصًا - كأمثلة تعليمية للمتوسِّطين والمتقدِّمين في التحصيل العلمي؛ لأهمية ذلك في صقل الملكة الفقهية وتنميتها.

- العناية بدراسة تطبيقات ابن مفلح للقواعد الفقهية والأصولية في كتاب الفروع كأمثلة تعليمية تصلُح للتأمُّل والمدارسة في التحصيل العلمي؛ لأهمية ذلك في صقل الملكة الفقهية وتنميتها.

- العناية بتدريس منهج التعامل مع الخلاف الفقهي في الكليات والأقسام الشرعية، وتوعية عموم الناس بفقه الاستفتاء والمسلك الصحيح للعامِّي في العلوم الشرعية حيال ما يظهر من مسالك العلماء المتباينة.

- العناية بدراسة ما تزخر به كتب أعلام الفقهاء المتقدمين من أخلاقيات البحث العلمي وأدبياته، وإبرازها للباحثين في علوم الشريعة عمومًا وعلم الفقه خصوصًا.

- العناية بدراسة مداخل أمهات الكتب الفقهية، ومعرفة مناهج مصنِّفيها ومصطلحاتهم قبل الشروع في دراستها.

- لفت عناية المهتمين بالفقه الحنبلي لتصوُّر خارطة المصنَّفات الفقهية الحنبلية وأوجه العلاقة بينها وسماتها الرئيسة، لأثر ذلك المهم في الإلمام بأبرز أمهات الكتب الحنبلية وأوجه الانتفاع بها.

- الربط بين مناهج الفقهاء في التصنيف وبين مدارج التأصيل العلمي لطلبة علم الفقه، بما يحقق تحديد المصنفات الفقهية الملائمة لكل مرحلة من مراحل الطلب.

❖ **التوصيات البحثية:**

أثمر البحثُ ظهورَ عددٍ من الفرص البحثية التي يرجو الباحث نفعها للباحثين وإثراءها للمكتبة الفقهية، وهي:

- البحث في مناهج الفقهاء في كتابة مقدمات أمهات الكتب الفقهية – على اختلاف المذاهب – ودراسة أبرز مسالكهم في ذلك والمقارنة بينها.

- البحث في منهج أعلام فقهاء الحنابلة في التبويب للكتب والأبواب والفصول الفقهية، والمقارنة بين مسالكهم في التبويب، ومسالك فقهاء المذاهب الثلاثة.

- البحث في مناهج الفقهاء في توليد المسائل الفقهية والتفريع عليها، ومحاولة إحكام معايير توليد المسائل الفقهية بما يحقِّق شمولية البحث الفقهي للفئات والأحوال والمؤثرات المتعددة المتعلقة بالمسائل محل البحث.

- البحث في الأحكام الشرعية المختصَّة بالأقليات الصحية في المجتمع، وذوي الاحتياجات الخاصة؛ كالأحكام المتعلقة بالخنثى المشكل في نواحي الحياة المتعددة، والأحكام المتعلقة بالفقراء، أو العُمي، أو الصُّم، وذوي العاهات المتعددة، ونحوهم.
- البحث في أثر الأحوال الجوية، كشدة الحر والبرد ونحوها في الأحكام الفقهية.
- جمع مواضع تحريرات المصنف - في كتاب الفروع - وإشاراته للجمع بين النصوص الشرعية التي ظاهرها التعارض ودراستها دراسةً أصولية فقهية.
- بحث منهج المصنف - في كتاب الفروع - في تخريج الأحاديث النبوية والحكم عليها: دراسةً حديثية.
- جمع مسائل الإجماع عند المصنف ودراستها دراسةً فقهية، تهدف إلى التحقُّق من حكايات المصنِّف للإجماع، وتجلية رُتْبَتها بين إجماعات العلماء.
- دراسة منهج المصنف في حكاية الإجماع وشروط إثباته عنده، من خلال تطبيقاته في كتاب الفروع: دراسة أصولية تطبيقية.
- جمع ودراسة تطبيقات المصنف في الاستدلال بالقياس في كتاب الفروع: دراسةً فقهية وأصولية.
- جمع ودراسة تطبيقات المصنف في الاستدلال بالاستصحاب: دراسةً فقهية وأصولية.
- جمع ودراسة تطبيقات المصنف في الاستدلال بسد الذريعة: دراسةً فقهية وأصولية.

جمع ودراسة تطبيقات المصنف في الاستدلال بالمصلحة المرسلة: دراسةً فقهية وأصولية.

- جمع ودراسة تطبيقات المصنف في الاستدلال بالاستحسان: دراسةً فقهية وأصولية.
- جمع ودراسة تطبيقات المصنف في الاستدلال بالعرف: دراسة فقهية أصولية.
- دراسة منهج الفقهاء في التعليل دراسةً تحليلية لآحاد الكتب أو مقارِنة بين أعلام الفقهاء والمذاهب الفقهية.
- جمع ودراسة تعقُّبات المصنف على أعلام الفقهاء من الحنابلة وغيرهم، وتعقباته على المذاهب الفقهية: دراسة فقهية مذهبية أو مقارنة.
- دراسة المزيد من مناهج أعلام فقهاء الحنابلة في التصنيف وأوجه العلاقة بين آحاد المصنَّفات الفقهية الحنبلية.
- دراسة المسالك الاجتهادية الخاصة بأعلام المجتهدين من فقهاء الحنابلة، وبحث آرائهم الاجتهادية التي خالَفوا فيها معتَمد المذهب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد